حمزة الميموني

التفكير المفرط

حمزة الميموني

التفكير المفرط

الفهرس

تقديم

الباب الأول : التفكير بتفريط

١ : الطبيعة و الامتداد

٢ : صراع الأضداد

٣ : جنود الطبيعة

تقديم:

عندما كنت صغيرا كنت مولعا بالرياضيات، كانت الرياضيات هي المادة الوحيدة التي كنت أشتغل فيها دون أي شيء آخر، لقد حصلت حينها على الأصفار في المواد الأخرى إلا الرياضيات، كنت أستوعبها لدرجة أنني فكرت في اختراع نظرية تحت اسمي، أتذكر حينها عندما كنت أدرس في سلك الثالثة إعدادي أنا و زميلي يونس، كنا نؤمن بأننا يوما ما سنبتكر اختراع جديدا أو نظرية لنا ، لكن سرعان ما فترقنا بعد المرور الى سلك الثانوية حيت كل منا اختار مكان اخر للدراسة فيه. منذ ذلك الحين و أنا أفكر لنفسي في اختراع شيء ما خاص بي أي كان نوعه أدبا، رياضيا أو حتى ميكانيكيا المهم أن أكون مخترع بأي وسيلة،

و لقد زادت كلمات استاذ الفرنسية الذي درسني في الباكالوريا حماسي حينما قال "يجب على الإنسان أن لا يموت، أي أن يذكر اسمه كل يوم، و ذلك عبر شيء ما انجزه في الحياة، يجعله في ذاكرة أي شخص"

كان يقصد بكلامه هدا أن من ترك بصمة في الحياة لا يعد ميتا رغم موته، لأنه لا زال في ذاكرة الناس، وحدهم الميتون هم الذين يُنسون من قبل الناس، عندها كانت نقطة انطلاقتي بعد اختياري لموضوع الفلسفة و الذي اخرته لأنه كان ذا تأثير قاسي علي حينما بدأت سنواتي الأولى في الثانوية، فاذا بي في مناظرة أنا و فتاة حول موضوع في الفلسفة و الذي يدور مضمونها حول علاقة الفلسفة بالدين و هل تشكل خطرا عليه أم أنها تدعمه؟ كنت ألقي خطابي حينها و لا أجد أي دعامة لكلامي و أردت أن أستشهد بقول من القرآن الكريم في مناضرة فلسفية و هو خاطئ أساساً ، إذ أنه كلام أحد الفلاسفة، حينها أنفجر القسم كله بالضحك حتى الأستاذ لم يتمالك نفسه، بدوت أحمق حقاً، أعترف أن تلك الحادثة كانت ذا تأثير كبير على شخصيتي، لكن في الأخير أنا أقول دائما أنني كنت صغيراً و ذلك شيء عادي، فأنا لا أدرك أي شيء حينها في مجال الفلسفة .

و منذ ذلك الحين و أنا عازم على تعلم الفلسفة بدلا من الرياضيات و ذلك على الرغم من نقاطي الضعيفة فيها، كنت أبحث عن الفلسفة الوجودية و العدمية و الرواقية فقد اشتغلت حينها على جل مذاهب الفلسفة، و كذلك قرأت كتبا من علم الاجتماع و علم النفس، و علم

الانسان، دخلت إلى عالم جديد، عالم الكتب و المقالات، في هذا العالم كل يوم أجد نفسي في مسكن أحدهم، و المسكن هنا هو الكتاب و أنا دونه أخزن معلومات عن المنطقة و استوعب هذا العالم شيئا فشيئا، حتى أستطيع تكوين مسكني الخاص تحت اسمي يستقبل عددا لا يستهان به من الضيوف، و هم أنتم فلا تخجلو أبدا من أخد قسط من الراحة عبر هذا الكتاب وأعتباره كتابا لكم .

من اليوم الذي استوعبت فيه كلام استاذ الفرنسية الى الآن و انا منشغل باعداد كتاب لي يحمل اسمي، و يترك بصمته مع الكتب الاخرى، و هذا حلم كبير صعب التحقيق، فالتحول من قارئ الى مؤلف شيئ صعب حقا، لأنه عندما نقوم بقراءة الشيء ليس كالتفكير فيه و كذلك إلقاؤه ، فقد أخد مني هذا الكتاب حوالي أربع سنوات لتأليفه ، فاني لا انكر انني الفت كتاب باسم "الإنسان كائن مسير "لكنه يعتبر فقط كمسودة لا غير، فهو لا يفصل الموضوع و لا يتطرق اليه حتى النهاية .

و اليوم كان أول كتاب لي باسم "التفكير المفرط "فكيف لنا أن نختار هذا العنوان بالضبط ؟

التفكير المفرط أو overthinking هو مصطلح سيكولوجي يرتبط بعلم النفس، و هو إضطراب نفسي يحدث للشخص عندما يمر بفترات عصيبة و صدمات نفسية عديدة، ينتج عنها التفكير المفرط أي التفكير المستمر في لا شيء، فهذه الأفكار تلازم الشخص كل يوم ولا تترك له مجال للإستراحة، فهو يفكر و يفكر و لا يفكر في أي شيء يذكر، و قد

اخترته كعنوان ليس لأنني لا أفكر في أي شيء، لكن لأنه مرتبط بالتفكير المستمر، فهو الذي يلازمني كل يوم و لا أعلم حقا إن كنت أحد المرضى الذين يعانون منه أو أن أفكاري قيمة و يجب أن تكتب في ورقة لا في عقلي وحده، و مشاركة ما أفكر فيه لا تجعلني في المقام الأول كعالم أو فيلسوف، فأنا لا أعتبر نفسي كذلك فقد يمكن لأفكاري أن تكون صحيحة أو خاطئة، و الإختيار موجه لكم، فإن كانت صحيحة يجب أن تدركوها، و إن كانت خاطئة فهو تفكير ناتج عن مرض نفسي.

وفي هذا الكتاب الذي لا يترك أي موضوع كان في عقلي دون التحدث فيه، فمنه الإجتماعي، و السيكولوجي و الميتافيزيقي و غيره من المجالات فإنه يلقي لنا الحياة كما أنظر لها أنا فقط دون غير، و نظرتي للحياة أردت أن أشاركها معكم.

24/04/2023

حمزة الميموني

الباب الأول : التفكير بتفريط

١ : الطبيعة و الامتداد

عندما نستيقظ من نومنا الممتد إلى أبعد حد ممكن (أي عندما نبعث في الأرض) نحاول فهم طبيعة الحياة، نحاول طرح أسئلة حول الطبيعة، الكون، الوجود... ،نحاول الحصول على جواب مقنع لما نطرحه من أسئلة، نحن فقط نحاول إكتشاف ماهية الحياة، لما تنقسم كما نرى لعدة عناصر؟ لما لا يوجد حد أو إطار محدد للطبيعة؟ لما يوجد مصطلح الانهاية في الرياضيات ألا يمكننا ايجاد عدد لا يتجاوزه أي عدد؟ كل ذلك نطرحه هو و غيره من الأسئلة التي لا تعد ولا تحصى و التي تجعلنا دائما في حيرة من أمرنا. كأسئلة الوجود مثلا التي لازال فلاسفة العالم و العلماء في حيرة حول جواب موحد عن هذه الأسئلة ، فكل و إفتراضاته و نظرياته و كل و تفسيره لماهية الحياة لكن دون جواب ملموس يقنعنا و يطفي شرارة التساؤلات التي لا تزول من عقلنا. و لغيره ذلك من الأسئلة فنحن نركز في موضوعنا عن الامتداد أو الانهاية و التي من اليوم الذي درستها فيه و أنا أريد تفسيرا مقنعا لها، أو كيف لها أن تكون فعلا أصلا؟ فهي عائق أمامنا، فعندما نقول أن شيء ما دون نهاية، فلا يمكننا معرفة هذا الشيء، و كذلك بالنسبة للطبيعة ،فيمكننا

فقط افتراض ان الحياة دون نهاية، فما نلاحظه من امتداد الى ابعد حد في الحياة أي في الأعداد، الأنواع، الأشكال، الألوان... كلها دون حد، و تمتد إلى أبعد ما يمكننا تخيله، و هذا مدى غير محدد، فالحياة تمتد إلى أبعد مدى مطلق، و هي غير معدودة، و بالتالي هي غير حقيقية كما نعتقد فعلا، أي تقديرية غير مضبوطة حسابيا، أي في المثال عندما نأخد العدد "أ" نفترض أن كميته مضبوطة و أنه عدد كباقي الأعداد المشابهة له، أي أن كميته هي نفس كمية الآخرين بشكل مثالي، و هذا خطأ فالمثالية لا توجد في الحياة، و إن كان العدد مثالي حقا لما كانت الانهاية، و إن إفترضنا وجود عدد مثالي أي أنه محصور في كمية محدودة لا زيادة ولا نقصان عليها وجب علينا افتراض عالم مثالي ذا شكل موحد للكائنات الحية، ذا لون واحد لهم، ذا نوع واحد لهم. و بالطبع لا يمكننا ذلك فاللون واحد لكنه يختلف في النوع ، كذلك الشكل واحد لكنه يختلف في اللون مثلا، إذا نجد هذا فقط في الرياضيات .

فإن الرياضيات ترى الأشياء على أنها شيء موحد مثالي لا يختلف عن غيره، و عندما نقول أن واحد زائد واحد يساوي إثنان فهذا صحيح بالنسبة للرياضيات، لكن عند تطبيق الأمر عن طريق تفاحتين في أرض الواقع، نجد إن تفاحة زائد تفاحة تساوي أكثر من أثنان، فإن كانت التفاحة الواحدة تساوي ١،٠ كلغ في حين أن الأخرى تساوي ٢،٠ كلغ، أي أن الأولى زائد الثانية تساوي ٣،٠ كلغ و ليس ٢، لكن في الرياضيات نعتبر أن التفاحتين متساويين في الحجم و الشكل و اللون، إذن فإن سعينا للحصول على أبعد حد ممكن من الكمية لا يمكن تحقيقه، كما أن أدق كمية في الأرض لا يمكننا تحصيلها، فالأمر أشبع بحبل ممتد لا

نرى أطرافه، هذا إن كانت موجودة فعلا، كذلك عندما نرى قمة جبل و نقول أنها قمة حادة قطعا، لكن عندما نقترب إلى القمة أو نكون فوقها، نرى أنها مسطحة و قادرة على تحمل شخصين أو ثلاث، أي أنها في الحقيقة مسطحة، هذا في منظورنا نحن البشر، أما بالنسبة لنملة أو كائن مجهري فإنه يعتبر القمة الحادة، أرض واسعة أو عالم لا نهاية له، بالتالي فإن حواسنا تخدعنا أحياناً فإنها ترينا العالم كما تراه هي لا كما هو فعلا، فإننا نرى أن الخط المستقيم خط مستقيم قطعا لكن الكائن المجهري يرى تشوهات في هندسة الخط، و قد يعتبره هو كذلك على أنه فيه قمة حادة قطعا لكن ربما يقع معه هو الآخر كما يقع لنا نحن البشر، لا أعلم حقا لكن هذا يجب الأخد به فلا الزاوية القائمة تسع ٩٠ درجة دون زيادة أو نقصان ولا أن قمة الزاوية الحادة حادة فعلا فقط حواسنا هي التي تراها كذلك.

وكما قلنا سابقاً فإن الطبيعة حبل لا نرى أطرافه، ندرك فقط أننا نوجد داخل هذا الحبل، فلا يمكننا رؤية التاريخ ولا المستقبل لكننا نرى الحاضر و هو طرف الخيط الذي نرى فقط ، أي أننا نعلم أن الطبيعة موجودة طبقا لما نرى لكن لا نعلم أبعادها أو مصدرها، و بالتالي فالطبيعة إمتداد لا بداية و لا نهاية له طالما لا يمكننا معرفة كمية المادة بالتفصيل و التدقيق، فإننا نعي و ندرك أننا ضمن هذا الإمتداد ولا يمكننا الفرار منه أو عيش في حياة مثالية، و هذا ملازم لنا حتى الموت، كما أننا عندما نموت لا نسلم منها، إذ تتحلل أجسامنا تحت التراب و تصبح جزء من الطبيعة، فنحن خلقنا من الطبيعة التي لا نهاية ولا بداية لها لنعود إليها مجددا. إننا عالقون فيها ،عالقون في الإمتداد، ووجب علينا التعايش معه، لعيش أطول مدة ممكنة معه.

و من ما هو ملاحظ كذلك أن الطبيعة تتعدد و تختلف من شيء لآخر، أي أنها تربط بين خصائص موضوع و خصائص موضوع آخر تعاكس الأول في وسط واحد و هو الطبيعة، يشبه ذلك المصباح تماما، فإنه يربط بين سلك سالب و موجب في الكهرباء للحصول على الإضاءة، هذه الأخيرة التي لا تنتمي إلى أي نوع من الأسلاك المسببة لها، فلا يمكننا أن نقول أنها موجبة أو سالبة، فهي تربط بينهم و هي مصدر منهم فقط، فقد أخدت كل ما هو ضروري لها من كل ما هو سالب و موجب لتشكل خصائصها الخاصة، كذلك الطبيعة.

فالوجود كالميزان بين الأشكال و الألوان و الأعداد و ما هو مقابل لها، وتتحقق الطبيعة عندما يكون التساوي بين الطرفين، سعيا لتحقيق التكامل او الإستقرار و نفترض أنها تحقق الصفر.

إذن الحياة إما إمتداد، او صفر أو أن الإمتداد صفر، لكن الصفر شيء مثالي، وكما قلنا سابقا فإن المثالية لا وجود لها في الطبيعة، لكن عندما نعيش في الطبيعة ندرك أنها موجودة لكن لا ندرك ماضيها أو مستقبلها، فقط ندرك أنها موجودة في اللحظة التي نوجد فيها نحن، و ندرك كذلك أن نفس اليوم الذي نعيشه يتكرر من شروق إلى غروب بساعاته و دقائقه و ثوانيه، فهذا إن كان يدل على شيء فهو أننا عالقون في شيء لا يتغير أي ثابت، إذن فنحن نفترض فقط أن الطبيعة صفر و أن الصفر امتداد لا بداية ولا نهاية له، ما دام الامتداد صعب التحقيق طالما كان الصفر صعب التحقيق كذلك، هنا يمكننا افتراض أن الصفر هو الطبيعة و إننا نتعايش معها كونها طاقة من طاقات الوجود (الله)، و أنه صورة لإمتداد يتشكل على مستويات عدة .

فنحن البشر نلاحظ شيء صغير بالعين المجردة فقط و نحسم في مكوناته على أنها عدد يمكن إحصائه ، لكن بستعمال المجهر قد يتبن

لنا عدد أخر من المكونات، وعند تكبير العدسة أكثر فأكثر بغية الحصول على كم نهائي نعجز عن تحقيق ذلك، كون المكونات تزداد مع تكبير العدسة أكثر فأكثر، و كذلك بالنسبة لنا إن نضرنا إلى الأرض أو الكون من زاوية أخرى، فقد نعتبر أن الكون محدود فقط في كواكب و مجرات، لكنه أبعد من ذلك إلى مدى غير محدود، إذن فالحياة صفر لا محالة، و إن كان كذلك فما الذي يجعل الصفر صفرا؟

ذكرنا سابقا أن الصفر إمتداد و أن هذا الإمتداد يكون على مستويات، و نلاحظ أيضا أن بتحقيقنا للصفر وجب علينا الإمتداد إلى أبعد حد، إذن فالصفر لا يتحقق بل ينقسم و ينقسم إلى ما لا نهاية، بالتالي فإن الإنقسام يميز الصفر و هو أحد صفاته، إنه للموجب و السالب فإن كان لواحد منهما فلن يكون صفرا، بالتالي فهو يرضي الطرفين، يرضي الشيء و عكسه كما في الحياة بالضبط، فالحياة تنقسم كما يفعل الصفر إلى شيء و مقابل له، فلا نجد مثلا الفقر فقط أو الغنى، بل نجد التضارب بين الطرفين، الإنسجام التوافق، هذه هي الحياة فعلا، إنها كما يفعل الصفر، إنها الصفر حقا. الحياة تنقسم إلى أبعد حد من الكائنات، أبعد حد من الأشياء و هذا ما يفسر هذا الإنقسام كونها إمتداد من الأساس، فالحياة دوامة و نسلنا عالق فيها لتحقيق أبعد مدى للصفر أي الحياة

٢ : صراع الأضداد

إفترضنا أن الطبيعة امتداد و أننا عالقون في هذا الإمتداد، و افترضنا كذلك أن الطبيعة تحقق الصفر أي الإستقرار بين شيء معين و آخر معاكس له، لكن يلزمنا مثال ملموس لهذه الفرضيات، إذ يمكننا الإستعانة بكائن حي لتوضيح ذلك ألا وهو الكائن البشري، فهو أعظم ما في الطبيعة، و أعظم ما في ذلك أنه مختلف تماماً عن باقي الكائنات الحية، فهو قادر على التفكير، التحليل والإدراك، وهذه القدرة الموهوبة من الله قادرة على أن تجعله ضوء يكشف لنا ما وراء الطبيعة.

فإن الطاقة التي يخزن داخل رأسه مرعبة فعلا، ويزداد رعبها كلما ازدادت نسبة استخدامها له. مما يجعله قادر على تطوير حواسه و التأقلم بشكل أسرع مع البيئة التي تحيطه. إنه كباقي المخلوقات يبتدأ بالولادة ويستمر في العيش حتى الموت، إذ أن نسله مستمر إلى أبعد مدى، والطبيعة منحته وسيلة للاستمرار في الإنجاب مثله مثل الكائنات الأخرى عبر قنطرة الجنس ، فهو ينقسم كما تنقسم الطبيعة إلى ذكر بشري ومقابله الأنثى البشرية، هما الاثنان كل منهما له خصائص التي تميزه عن آخر، حيث أخد كل منهما خصائص متناقضة فيما بينهم و هي التي تحدد نوع كل من الطرفين، فهما كالقطب السالب و القطب الموجب في الدارة الكهربائية، لا يلتقيان حتى مرحلة متقدمة من البلوغ الجنسي، عندها يحدث التماس يتحقق التكامل و تنير الأضواء، مرحبا بولادة جديدة على هذه الأرض المباركة، ولادة تدل على الاستقرار، فما

السبب وراء هذا الحدث العظيم ؟ ولماذا يحدث أصلا ؟ كل ذلك نجيب عنه بشكل مفصل طبقا لما افترضناه مسبقا.

إذن دعونا نجيب على هذه الأسئلة الإشكالية في هذه الخطوات إبتداء من السبب الحقيقي وراءه، إذ أنني أعتبر أن الطبيعة رجل صيني مسن له أسلوب حكيم في إلقاء خطابه و حكمه ، نظرا إلى أن الطبيعة إمتحانات عديدة و ظواهر متنوعة في مجالات عدة نجتازها و نحصد حكمة وراء الأخرى حتى النهاية، فقد ينتهي بنا المطاف في الأخير مكان ذلك الرجل الحكيم، فما أريد صياغته لم يتم بعد لكنني أريد إلقاءه بشكل مفسر أكثر .

إذن فالذكر البشري له خصائص تميزه كونه ذكراً، إنه شديد الصرامة، واقعي، يتحمل الضغوطات، لا تدمع عينه، لا يبكي... إلخ ، و هذه صفاته التي لا نناقشها كونها صفات ذكورية، كما أننا لا نعمم ذلك على كل الذكور أو حتى الإناث، غير أن هذه الخصائص تزداد فقط بنسب لا يستهان بها مقابل الجنس الآخر، غير أنه لا يمكن لذَّكر أن يحطم أرقام نسبية أعلى من تلك الخصائص التي تميزه، و لا الأنثى قادرة على التفوق عن خصائص أعلى من كونها ذات مشاعر رقيقة و تتمتع بعالم خيالي و مبدعة إلى حد ما.. إلى أخره، و هذه كذلك من بين الخصائص المناقضة للخصائص الأخرى طبعا كونها خصائص أنثوية، فالشخص الصارم الذي لا تدمع عينه لا يمكنه أن يكون ذا مشاعر رقيقة، حتى لو كان ذلك فلا يمكنه أن يكون رقيقا أكثر من الجنس الذي يوجد الرق في قاموسه،

فهذا هو الإنقسام الذي نتحدث عنه و الذي يجعلنا فخورين كوننا من أحد هذه الأنواع، و يجعلنا نعاني في صمت كذلك من نقصى فطري من الخصائص الأخرى التي تنقصنا منه، و هو كذلك الذي يجعلنا نستحي أن نتفوه به أو نرمز إليه، فالإناث تحتاج إلى الذكور و نحن الذكور نحتاج إلى الإناث و نريدهم كوننا خاضعيين لهذه الغريزة، كما هو منطبق طالنا يرضي الطرفين معا، و هذا المطلب بالذات ما جعل هذا العالم يصارع مدى الحياة من أجل نقصه الجنسي، فقد سبب ذلك العديد من المشاكل عبر العصور، حتى أصبح كل ما هو متعلق بالجنس شيء يستحي التحدث فيه أو مناقشته، و كما تعلمون فقد قتلت أرواح عديد بسبب الجنس أو الحب أو العشق و كل هذا نربطته بمصطلح واحد فقط الإنجاب، فهو شيء ذا قيمة فعلا، طالما اختارته الطبيعة لتلتقي فيه أجناس الكائنات .

وهنا نلاحظ كذلك أنه لدينا طاقة تشبه الطاقة الكهربائية تماما و التي تتكون من سلك سالب و سلك موجب و يمكن أن ندعوها هي الأخرى بالمتجددة، إنها الطاقة الذكورية و الطاقة الأنثوية ، فإنه منذ الولادة و هو يسعى جاهدا وراء هذا السلك الأنثوي البشري و هي الأخرى التي تعاني باستمرار للحصول على السلك الذكوري البشري، فما الحكمة في هذا و ما اللذي تريد لنا الطبيعة من هذا المضمون كونها رجلا حكيم؟

نعلم أن الجنس البشري ذكرا كان أو أنثى ضعيف وحده لأنه يمثل سلك واحدا فالطبيعة لا تريد الضعفاء، فهل يمكن أن تنير الأضواء من سلك

التور وحده ، فالضوء لا يسمح لأي شيء بالإستمرار دون وجود مقابل له، و الضوء هنا هي الطبيعة، إذ أن وحدته هذه ترضي طرفا واحد فقط و هذا الطرف هو جنسه، هنا كفة الميزان الذي تحدثنا عنها مسبقا تميل نحول نوع جنسي واحد، و هنا لا تتحقق الطبيعة، فقط يتحقق وجوده حتى الموت، و هذا هو الشيء الذي يجعله كائنا ضعيفا هو و الكائنات الأخرى بالنسبة للطبيعة ، فلا يمكنه الإنجاب حتى لو أراد ذلك لوحده، فالإستقرار لا يحقق إلا إن كان هنالك شيء معاكس له في الكفة الأخرى، و الإنجاب هو اللذي يجعله مهيمنا و قادرا على ضمان استمراره و استمرار الطبيعة .

وكما قلنا فإن الطبيعة تعتمد على الاستقرار لكي تتحقق، فالتناسل شيء محير فعلا، فهو مرتبط بالوضعية التي نحن عليها في الطبيعة، فالفعل دون مغزى حماقة، و ممارستنا للجنس علامة من علامات الراحة التي نحصل عليها في هذه الأرض، إذ أن الطبيعة ترزقنا بكائن جديد يشبهنا كي يستمر هو الآخر في الحياة معنا، و قد نرى مثلا العصفور عندما يبني عشه و يشعر حينها بالاستقرار أي أنه حقق الراحة و إذا به ينتقل إلى الإنجاب كشرط أساسي من شروط الطبيعة، فالإنسان لا يمكنه ممارسة الجنس دون مأوى، فممارسته تعني لنا ارتياح الكائن في المكان الذي يعيش فيه و يريد استمرار نسله في الطبيعة كونها آمنة و تحتوي على مكان له، و نجد ذلك أيضا عند البشر، فلا للرجل أن يتزوج الرجل دون مسكن أو سيارة أو شيء يدل على استقراره في الطبيعة، كما في الغابات

عندما نجد الأشجار القريبة من الأنهار تستمر في الإثمار كي يستمر نسلها قرب الماء، نجدها محاطة بالماء العذب و الذي يمكنها من العيش و ضمان عيشة أخرى لأشجار أخرى إلى زمن آخر حيت ينتهي هذا النهر عن الإستمرار ، لكن عندما نزيل شجرة ما من التراب لا يمكنها الاستمرار او حتى العيش، و على الرغم من وجود الجنس و على الرغم من تحقيق مطلبنا في الحصول على الطاقة النوعية فإنه لن يتحقق لنا التناسل ما دمنا دون مأوى، هذا ما يجعلنا في إشكال آخر، فإن التربة تمثل لنا ضمان إستقرار الذات فقط و ليس إستقرار النسل، و إن استقرار الذات و اللذي يتحقق بغريزة التغدية محدود في عمر معين، لكن استقرار النسل و الذي يتحقق هو الآخر بغريزة الجنس أعظم من هذا الأخير. و هذا ما يفسر لنا الاستقرار الذي يحدد في الحصول على بيت (المأوى)، المال(التغدية) ، الوضيفة (وهي التي تضمن الحصول على التغدية بشكل دائم) ثم الزواج و هو الأخير المساهم في استمرار الإنجاب و ذلك بعد المرور من كل هذه الخطوات .

فإننا نستنتج إذا أن نصف الإنقسام البشري وحده لا يكفي لاستمراره وأن الإنسان مجبر على ضمان وجود طرف آخر للحصول على استمرارية .فلما نستمر إذن؟ هل يمكننا القول أن هذا الكائن يود أن يترك مقعده لشخص آخر غيره ليتولى مصبه ؟ أي وكأنه مقيد بالخضوع لهذه الحياة على الرغم من كل هذه المعاناة الممثلة في الوصول الى الطرف الآخر، فأنا و من وجهة نظري لا أعلم لماذا هذا الاستمرار لكنني

لا أنكر أن الإنسان غير مخير في اختياره لوجوده و أنه فعلا كائن مسير بغرائزه و فضوليته نحو اكتشاف الجنس والحصول عليه، فهذا الفضول فخ وها قد حان دوره لنفسره هو الآخر، فلا أنا أريد أن يعيش ابني نفس المعاناة التي أعيش ولا أيا كان منا، حتى أنني أفضل لحظات السبات العميق التي كنت فيها قبل فترة الولادة، أي قبل أن يحين دوري أنا الآخر في اكتشاف هذا العالم، لكن هذا الميل الفطري إلى الاستمتاع بالغرائز هو القنطرة الفاصلة بين عالمنا و عالم السبات، و هو الذي يحدد كل منا و يختاره بدقة لولاية جديدة، من سبات إلى معانات حتى الموت . إننا نتصرف كالسدج حقا عندما نعد الغرائز لعبا و لهوا و إرضاء لأنفسنا فقط و نهمل أنه تلاعب بأرواح الآخرين، و أنه إيقاض لسبات، حقا إننا أنانيون فعلا عندما نستسلم لغرائزنا، إننا السبب في معاناة أرواح المستقبل، فإن التفكير في الإنجاب وحده يعادل التفكير في إلحاق المعانات للعديد من الأرواح التي كانت في سبات، و إرضاء غرائزنا منبه فعال لإقاضهم. نحن بريئين من ذلك فإننا نقوم بالإنجاب بخضوع للطبيعة، لكن التناسل لا يمارس عبثا .

ولنا دور كبير في استمرار الطبيعة أي أننا نضمن استقرار الطبيعة و أن استمرارنا يضمن استمرارها هي الأخرى فكيف يحدث ذلك؟

لدينا الآن موضوع بين الطبيعة و الكائن البشري، وهنا سنتحدث بشكل عام بين الطبيعة و الكائنات الأخرى دون البشر وحدهم، فقد قلنا مرات عديدة أن الطبيعة تتكون من أضداد مختلفة، و هذه الأضداد نلاحظها

في عناصر الطبيعة، النار، الماء، الهواء، الأرض... و نلاحظ الصلب و السائل، و نلاحظ أيضا أن هذه العناصر تتوافق مع بعضها ، على الرغم من اختلاف كل عنصر عن العناصر الأخرى، فكل ما هو حراري و نسلطه على الماء، يؤدي إلى تبخر الماء إلى السماء على شكل سحابة، و الهواء يجعل السحابة تمطر فوق الأرض، كي تزدهر بالأشجار و النباتات التي تذبل و تموت كي تحترق و تشكل لنا النار، كما هو الحال عندما نرى توافق الفصول في ما بينهم، كما يتناوب الليل و النهار، فالطبيعة مزيج بين الأضداد ولا يمكن لها أن تكون دون هذه الأضداد ، أي أنه عندما يتوقف عنصر واحد من عناصر الطبيعة، تتوقف الطبيعة معه أو تموت، ونحن البشر و الكائنات الحية عنصر من الطبيعة كباقي العناصر المكونة لها، فالإنقراض يعادل العدمية بالنسبة للطبيعة، فإنقراضنا يزيل كل الأضداد و لا يمكن للطبيعة أن تكون إلا بها، و البشر كائنات قادرة على الاستمرار ، و ما يجعلهم كذلك كونهم كائنات موهوبون بعقل، و الذي منحته لنا الطبيعة، و هذا نفسه ما يجعلنا نستمر، و بالتالي فالبشر جنود الطبيعة. فإننا قادرون على التطور مع الطبيعة و هذا يستوجب علينا المزيد من الوقت .

و بهذا فقد إنتقلنا في خطواتنا لصياغة دور الكائن البشري ومساهماته في الطبيعة إلى مستويات متتابعة، فقد تطرقنا إلى أن النوع البشري ذكرا كان أو أنثى يولد مع نقص جنسي و أنه لا يمكنه الحصول على الكمال، وكذلك أنه ما دامت البشرية تستمر في الإنجاب فإنها تشعر بالإرتياح و

ترتاح إلى هذا المكان، ثم أخيرا أتبتنا أن الطبيعة في حاجة إلى الإنسان. لكننا نحاول جاهدا إكتشاف مصدر الكون أو بالأحرى اكتشاف النقطة التي ساهمت في بناء هذه العظمة. إذن فالطبيعة مزيج بين الأضداد، الأضداد بين الذكر مقابل الأنثى، الأسود مقابل الأبيض، العنصر و مقابله من العناصر، هذا ما يجعلها في صراع دائم، أي أن الطبيعة صراع بين العناصر. و ما دمنا في الحياة سوف نعاني دائما من الصراع كوننا عنصر من عناصر الطبيعة.

٣ : جنود الطبيعة

تجعلنا الطبيعة في أحد المنحيين المتعاكسين بين السلك الموجب و السالب كما في الكهرباء، و تسعى دائما إلى التقاء كل ما هو شيء معين مع مقابله، كما يفعل الوجود لتحقيق الطبيعة، و إنها تضمن استقرارها و استمرارها بهذه الطريقة، اي الاستمرار في الإنجاب و ذلك بعد الاستمرار في العيش بالنسبة للنوع، فكما هو الإنجاب مقيد بالغريزة الجنسية، كذلك الاستمرار في العيش مقيد بغريزة التغدية، و نرى أن الإستمرار في العيش أمر مؤقت، لذلك يوجد التناسل، فالكائن في حد ذاته هو شرارة من طاقة الطبيعة، وهو قابلة للإستهلاك أو التخزين كباقي الطاقات، كما فعل العلماء عندما خزنوا الطاقة في بطارية، فهم يستخدمون البطارية للمصباح، للتلفاز أو للهاتف، و كذلك الأمر بالنسبة للكائن فهو أداة تخزين لطاقة الطبيعة، عندما يفقد قدرته على التخزين، يتحول إلى استهلاك من كائن آخر.

فالكائنات الحية طالما هي كذلك فإنها بطاريات تخزن الطاقة حتى الموت، و تخزنها عن طريق الكائنات الميتة، أي عندما نرى ما يستهلكه الإنسان من تغدية في اليوم، فهو يتغدا على الخضروات و اللحوم (أي الكائنات الحية) ، فكل هذا ناتج من الكائنات الحية التي تعيش كما يعيش هو، تتغدا على الكائنات الأخرى، فهو يتغدا على مئات الأنواع من الكائنات كي يستمر وحده في العيش، و قد يذكرنا ذلك بسباق الحيوانات المنوية نحو البويضة، و كيف أنه وسط ملايين الحيوانات يعيش واحد فقط، كذلك في الطبيعة يموت مئات الكائنات لعيش كائن

واحد، و قد نتذكر كذلك المقولة التي تقول أن القوي يأكل الضعيف، فهذا قانون الطبيعة، إما أن تكون مفترس أو فريسة، فإن لم تفترس ستموت و عندما تموت، تصبح فريسة للكلاب أو للديدان، أو التراب، فالطبيعة تعطي خاصية الإفتراس و التخزين للأقوى فقط، فمسؤولية التخزين كبيرة جدا فهي حفظ لطاقة الطبيعة.

الطبيعة كالمستتمر ، فهو لا يضع ماله في البنك، .بل يستتمره في مشاريع عدة لكي يزداد ماله، كذلك تفعل الطبيعة فهي تستتمر في الكائنات الحية، فهي تقسم الكائنات الحية و تعطي لكل منهما شرارة من طاقتها، لتكون الطاقة الموحدة للطبيعة هي الكائنات الحية و الكواكب و المجرات إلى غيرها، كل منهم يأخد شرارته التي تميزه .

overthinking

x/12/2023